سنة ١٩١٨

احتفال هام بعيد الجلوس الخديوى — معلومات وأسرار عن الحالة فى طرابلس بين الخديو ورجال الحزب الوطنى — محاكمة بولو واعدامه — رحلة للسويسرة كلها متاعب وآلام — شئون مختلفة :

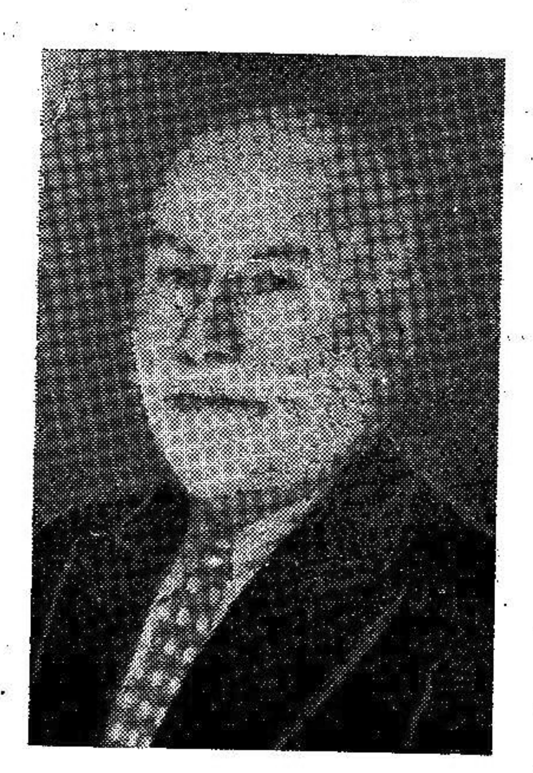
احتفال هام بعيد الجلوس الخديوى : عزمنا بعد موافقة الخديو على الاحتفال بعيد جلوسه بالاستانة ، للفت الأنظار إليه ، وإظهار شخصيته فى العاصمة التركية ، وقد كان يرغب فى هذا الاحتفال ولكن خشية من فشله لم يرد أن يتدخل فيه بشكل ظاهر ، فأعطانى فى أول يوم من يناير مبلغ مائة جنيه بصفة سرية ، للانفاق منها على هذا الاحتفال ، وتقرر أن يقام فى فندق بيرا بالاس .

وفى ٣ منه حضر البرنس ابرهيم حلمى ومحمد عزت باشا ، وقابلا سموه . وقالا له : « إن حالة الجيش التركى في فلسطين سيئة جدا » ـ وكان قصدهما من ذلك أن نعدل عن الاحتفال الذى لم يكونا موافقين عليه ـ وبعد خروجهما أبدى لى الخديو عدم استراحته لرأيهما ، فقلت له : « إن صغار المصريين هنا يبدون شعوراً وحماسة أكثر من كبرائهم » فقال : « نعم وكلما نزلت إلى الطبقة الدنيا تجد الأحساس أعظم » . . .

وقضيت من يوم ٤ منه إلى يوم ٧ فى إعداد الخطب التى ستلقى فى الاحتفال ، ووضع البرنامج ، وأسماء المدعوين من مصريين وأتراك وفرس وأفغان وهنود وسوريين وغيرهم ، مع أعضاء اللجنة وكان سكرتيرها فريد افندى صدقى ، وقد استعد لالقاء خطب عبدالحميد افندى رفعت ومنصور افندى القاضى ومأمون أفندى نجيب الذى حضر معنا من السويسرة . . وغيرهم .

وقد أرسلت أوراق الدعوة موقعة باسم السكرتير .

موقف جمال باشا من الاحتفال : وفى يوم ٧ أرسل مدير البوليس إليه لمقابلته ففهمنا أن هناك نية لعرقلة الاحتفال ، وتكدر الخديو لذلك . ولما قابله سأله هل الخديو سيحضر الاحتفال حتى يقوم البوليس بعمل الترتيبات اللازمة ؟. ولما علم منه بعدم ذهاب سموه أرسل الخبر تليفونياً إلى نظارة الداخلية ، فجاءه الرد بأرسال فريد افندى لمقابلة جمال باشا ناظر الداخلية بالنيابة عن طلعت باشا الذى كان متغيباً ، ولما مثل بين يديه ، انتقد أولا : وضع السلام الخديوى فى البرنامج مادام سموه لن يحضر في الحفلة ، وأمره بألا يعزف إلا السلام الشاهانى ، والناس قيام ثانيا : توقيعه على بطاقة الدعوة باسمه ، مع أنه غير أهل لدعوة الصدر ، وشيخ الاسلام والوكلاء والسفراء . ثالثاً : أنه اكتفى بمخابرة البوليس مع أن الواجب أن يطلب مندوباً عن الداخلية ، للاشتراك مع لجنة الاحتفال فى وضع البرنامج . رابعاً : لاحظ على كلمة (الجلوس على الأريكة الخديوية) التى وردت فى الدعوة قائلا : « إن هناك تعييناً وليس جلوساً »



فريد أفندى صدقى

وكذلك انتقد الهتاف « افندمز » بالنسبة للخديو قائلا : « هذه كلمة لاتقال إلا للسلطان ، فليس لدينا غيره نقول له : « افندمز » فرد عليه فريد بلطف قائلا : « إننا نحن المصريين لانستعمل كلمة « خديو » بل نقول « أفندينا » وها هو ذا المستشار (وأشار إلى مستشار الداخلية) يقول لدولتكم أفندمز » فهل أنتم فى منزلة السلطان ؟ »

وأخيراً سأله فريد عما إذا كان هناك ما يدعو لعدم الاحتفال ، أو يأذن له بالذهاب ، لأن الوقت قد حان لحضور المدعوين ! فأجابه جمال باشا : « كنت تستحق المحاكمة على المخالفات التى ارتكبتها ، ولكن لأنى شاهدت فيك الذكاء والصراحة أكتفى بتأنيبك ، ثم التفت إلى المستشار وقال : « إذا سمع الآن الخديو

بملاحظاتى هـذه فأنه سيقول : « إننى أناوئه » فأجابه فريد بأنه يستحق التأنيب الذى سمعه وأكثر منه لاعتماده على البوليس فقط ، وعدم اخبار الداخليـة . ثم رخص له جمال باشا بالخروج ، وإقامة الاحتفال . وبعد خروجه عاد إليه فأخبره أن صورة الخديو ستوضع في صدر الاحتفال بين علمين أحدهما تركى والآخر مصرى . فقال له جمال باشا : « لايوجد علم مصرى ، فضع علماً تركياً مكانه ومزقه » ! ولما علم الخديو بما دار بين جمال باشا وفريد افندى لم يتأثر ، بل أعطى لجمال الحق في انتقاداته ، ولا سيما فى مسألة العلم ومسألة السلام الخديوى

إنابة الخديو لى فى حضور الحفلة : وقد أنابنى عنه فى حضور الآحتفال فذهبت ومعى عارف باشا ، واحمـد بك فريد ، وقد كان الأول متردداً فى الذهاب . ولا سيما عندما أرسل البوليس لفريد افندى ولم يكن قد عاد بعد ، وحضر من المدعوين أكثر من مائة . ولما وصلنا قابلتنا لجنة الاحتفال ، وأجلستنا فى المكان المعد لنا .

اعتذار البرنس ابرهيم حلمى عن رياستها : تولى يوسف ضيا باشا الرياسة بعد أن اعتذر عنها البرنس ابرهيم حلمى ، وجلس الأعضاء عن يمينه ويساره ؛ وافتتحت بالسلام الشاهانى ، ونحن وقوف ، وصعد على المسرح رجل يسمى سليمان مع خمسة أشخاص وأنشد السلام الخديوى بصوت جميل ، فاستعيد مرات ؛ ثم رحب الرئيس بالمدعوين وشكرهم على اجابة الدعوة . وألقيت الخطب والقصـائد بين التصفيق الحاد ، وقد اقترح فريد أفندى تذكاراً لهذا اليوم أن يقام احتفال خيرى يصرف دخله لأبناء الشهداء فى الحرب .

كلمتى بالنيابة عن الخديو : وبعد ذلك وقفت وقلت : « باسم الجناب الخديوى أشكر حضرات أعضاء اللجنة التي أقامت الاحتفال لمناسبة ارتقاء سموه الأريكة المصرية ، وأشكر الخطباء والشعراء على احساساتهم الشريفة نحوه ، وانني سأرفع اقتراح اللجنة باقامة احتفال خيرى إلى جنابه العالى ؛ ولا أشك فى أن سموه يقبل بكل سرور جعل الاحتفال تحت رعايته ؛ وندعو الله عز وجل أن يحفظ لنا دولتنا العلية ، وينصر جيوشها على أعدائها ، وأن يوفقها لاسترداد حقوقها وحقوقنا فنهنىء بعضنا بعضا ، ونرجع للأوطان ، ونتمتع بمشاهدة الأهل والاخوان وما ذلك على الله بعزيز » .

انشاد السلام الخديوى . وبعد انتهاء كلمتى أنشد السلام الشاهانى ختاما للحفلة ، ولكن الكثيرين طلبوا انشاد السلام الخديوى من سليمان وجماعته ، فصعد على المسرح ، وأنشده بين التصفيق الشديد .

كثرة المهنئين للخديو : ولقد غصت سراى يلك بالمهنئين ، فجاء البرنسان ابراهيم حلمى وعلى فاضل وعزت باشا ، وأرسلت البرنسيس فاطمة هانم ووالدة البرنس عمر طوسون مندوبين للتهنئة ، ونور أفندى قاضى مصر ، ورفعت باشا سفير الدولة فى باريس سابقا ، واحمد بك صادق ، وحمد الله باشا ، من كبار الموظفين سابقا فى المحاكم المصرية وعدد من المدنيين والمكيين ، وجموع كبيرة من المصريين في قطارين خاصين من قطارات الترام ، ومن بينهم أعضاء لجنة الاحتفال : فقابل سموه جميع من حضروا إلا صلاح الدين مظهر وشقيقه حسن مظهر ، وهما اخوان لمظهر الذى تعدى على الخديو في سنة ١٩١٤ ، فبكيا ، وقالا إنهم بريئان مما حصل من أخيهما ، فوعد سموه بمقابلتهما بعد أيام (١)

وكذلك حضر مقبل يكن مندوباً عن ناظر الحربية للتهنئة والاعتذار عن عدم إمكان الحضور بنفسه نظراً لكثرة أعماله ، فسر سموه بهذه العناية ؛ وجاء كذلك « نظام السلطنة » السفير العجمى فوق العادة مع سفير العجم الأصلى ، وأرسل سفير ألمانيا تهنئة بصفته الشخصية عنه وعن قرينته وكذلك الدكتور « پروفر » رئيس قلم الاستخبارات الألمانية فى الآستانة

ووردت عدة برقيات من الآستانة وسويسرة والنمسا ، بينها تهنئة من الجمعية الخيرية الاسلامية التركية بالآستانة وبرقية من الطلبة بجنيف . ومن البرقيات اللطيفة التى سر بها الخديو برقية من ولى عهد السلطنة الثانى عبدالمجيد افندى وكان بينه وبين سموه صداقة شخصية ، وقد أمرنى بتسليمها لعارف باشا ليكتب ردا ودياً مناسباً .



عبد المجيد أفندى

(١) وقد حصل

وكذلك برقيتان من كريمته عطيه هانم افندى وزوجها جلال الدين باشا والذى سره منها إعلانها الاستعداد للرجوع للاستانة إذا رغب الخديو ذلك ، وكانا من قبل ممتنعين عن الحضور من سويسرة ، ولم يقبلا مرافقتنا عند السفر منها .

وبعد انتهاء ورود التهانى عهد إلى الخديو في الرد على المهنئين ، والذهاب لمركز الجمعية الخيرية التركية وشكرها على التهنئة التى بعثت بها . وكذلك الذهاب إلى أنور باشا وشكره على إرسال مندوب خاص ، ولما لم أجده فى المنزل تركت بطاقة لأحد مرافقيه .

وبمناسبة هذا العيد أنعم الخديو على ضباط المحروسة بنياشين مختلفة ، وعلى أحمد فريد بك التشريفاتى الأول بالمجيدى الثالث ، وعلى نور الدين بالرتبة الثانية .

لجنة الاحتفال فى دار الآثار العسكرية : وفى يوم ٢٠ دعا مختار باشا مدير دار الآثار العسكرية والسينما ، لجنة الاحتفال مع كبار المصريين لزيارة الآثار المذكورة ولزيارة السينما ، وقد عرض علينا فيها صورة الاحتفال بعيد الجلوس مع مناظر لزيارة امبراطور ألمانيا ، ثم ألقى خطابا مدح فيه الخديو كثيراً على تعلقه بمقام الخلافة ، وعدم عودته إلى مصر ليكون آلة بيد الأنجليز ، وتكلم عن أهمية موقع مصر وضرورة إخراج الأنجليز منها وإرجاعها لما كانت عليه قبل دخولهم فيها وإعادة الخديو إلى أريكته .

وبعد عودتنا قابلت عباساً وكان معه البرنس ابرهيم حلمى ، فعرضت عليه ماحدث فى دار الآثار وفى السينما ، وما سمعناه من مختار باشا ، وقلت: « إن الباشا كان جريئاً جداً في خطبته وصريحاً فى ثنائه ومدحه » . وكنت أشير بهذا إلى التردد والضعف الذى أبداه البرنس عند ماتنحى عن رئاسة لجنة الاحتفال .

حفلة لمواساة عائلات الشهداء في القنال : وفى يوم ٢٦ فبراير قر الرأى على تنفيذ اقتراح فريد افندى صدقى بشأن مواساة عائلات شهداء القنال ، فافتتح الخديو قائمة الاكتتاب بمبلغ عشرين جنيها عن نفسه ، ومثلها عن الوالدة ، ومثلها عن كل من كريمتيه . وقد اشتركت بمبلغ خمسة عشر جنيهاً ، وبلغ الاكتتاب بعد يومين ثلثمائة جنيه .

وتقرر توجهى مع حمد الله باشا والشيخ عبد العزيز جاويش إلى السراى فى

يوم ١٦ مارس ومعنا رقعة دعوة للسلطان ، مطبوعة بحروف مذهبة ، كما هى العادة حسبما قيل لنا ومختومة من الجناب الخديوى بما أن الاحتفال تحت رعايته ، ولكن سموه تردد فى كتابة الدعوة ، أو الختم عليها إن كانت مطبوعة . كما أنه تردد فى طلب أوركستر السراى ، وفضل أن لا نعمل شيئاً « غير معتاد » إذ يجوز انه فى أمثال هذه الحفلات لايعطى الأركستر . فلما استفهمنا من صادق بك تشريفاتى الصدارة أكد لى هو والشيخ عبد العزيز جاويش بأن « الأركستر » أرسل إلى حفلات متعددة ، وما علينا ـ نحن رؤساء الديوان الخديوى ـ إلا أن نكتب خطاباً إلى رئيس الحجاب بطلبه؛وبعد العرض على سموه أذن بالكتابة ، فحررت باعتبارى ناظر الديوان طلباً بنيته على التماس لجنة الاحتفال ، وأضفت على ذلك « كما هو المعتاد فى أمثال هذه الحفلات » ومن جهة أخرى توجه عارف باشا ، وقابل مرتضى بك الكاتب الثانى فى المابين ، وباحثه فى صيغة ورقة الدعوة للسلطان ، ثم حضر وأخبرنا بأنه لاتوجد طريقة رسمية لتقديم الدعوة ، وأملانى كتابتها بالتركية لطبعها بحروف ذهبيــــة وتقديمها بواسطة حمد الله باشا والشيخ جاويش ، وأنه لالزوم لتوجهى معهما ، وأضاف قائلا « وأن ذلك مايرغبه الجناب العالى » ، ولما علمت بهذه التفصيلات عرفت فريد افندى صدقى بها لطبع تذكرة السلطان وإحضارها فلم يلبث أن خاطبنى تليفونياً بما فحواه أن جمال باشا ناظر الداخليــة بالنيابة لم يستحسن « تصديع » السلطان بمثل ذلك ، وسألنى رأيى فيما يلزم عمله ، فقلت ماعلى الباشا والشيخ إلا أن يتوجها لدعوة مولانا السلطان شفهياً بواسطة رئيس الحجاب

ولما كنا فى الغداء سأل عباس عما تم فلخصنا له ماحصل فقال لى : إنه لايعلم بكتابة الجواب بطلب « الأركستر » وأظهر أنه لايتذكر أنه وافق عليه وقال إذا حصل مالايرضى فانى أقول إن هذا العمل حدث بغير إذنى وأضاف على ذلك : « أرأيت ياشفيق أن الأركستر لايعطى فى احتفالات مثل احتفالنا ؟ وإذا أمر السلطان بأعطائه فما هو إلا لخاطرى وعلى سبيل الاستثناء » وانتهى الأمر بان توجه حمد الله باشا والشيخ جاويش ، وتحدثا إلى رئيس الحجاب ، وعادا شاكرين لما لقياه من الحفاوة مع الوعد بهبة سلطانية .

وفى يوم ١٧ منه توجهت للمابين ، وقابلت توفيق بك رئيس الحجاب ، ورجوته فى أن يرفع شكر الجناب العالى ، ولجنة الاحتفال ، والمصريين جميعاً لمولانا السلطان على إرسال الأركستر .

وفي يوم ٧ ابريل ألصقت على الجدران إعلانات عن الحفلة فى تياترو « بتى شان » على أن يكون يوم للرجال ، وآخر للسيدات : وكذلك طبعنا برنامج الحفلة بالتركية والفرنسية مصدراً بصورة الخديو ، فكان ذلك كله دعاية عظيمة له

تخوف الخديو من الفشل : وعلى الرغم من هذا كان عباس يخشى أن يفشل الاحتفال من جراء الدسائس التى كان يتوقعها من رؤساء المعية الآخرين الذين كانوا ينقمون على إقامتى الحفلة ، وقد كتبت جريدة « ألتى » تلاحظ أن لجنة الاحتفال اختارت أرمنياً للتمثيل ، فكان سموه يتوقع التصفير فى أثنائه لو حضرها ، فامتنع عن الحضور وأناب عنه البرنس الأمير ابراهيم حلمى . أما الصدر فانه لما علم أن سموه لا يحضر أرسل فى « بنواره » اثنين من مرافقيه ؛ وكذلك لم يحضر من النظار إلا جاويد بك ؛ واعتذر سفير النمسا بأنه أسلف وعداً بالحضور في فندق بيرا بالاس للجمعية الخيرية النمساوية وكذلك الكثيرون من ذوى المناصب العالية . ومن المحتمل أن السفير لما سأل يكن باشا عن يوم الاحتفال وعرفه جعل احتفاله أيضاً في اليوم المذكور حتى لا يحضر اجتماعنا بهذه الحجة لما بينه وبين الخديو من سوء التفاهم .

أما سفير ألمانيا وزوجته فقد حضرا ؛ وكذلك عبد المجيد افندى ولى عهد السلطنة الثانى ، وجلست معه في مقصورته مدة ، فأعرب عن حبه للخديو ، وتمنياته لرجوعه إلى عرشه ؛ وفى هذه الحالة يزور سموه في مصر . وكذلك حضر خالد باشا الداماد نجل المرحوم درويش باشا ، وقال لى : « انه من المحبين للجناب العالى الخديوى » .

تنحى البرنس ابراهيم حلمى ونيابتى عن الخديو : ولما قرر سموه إنابة البرنس ابراهيم حلمى اتخذنا ما يلزم لارسال الزورق البخارى إلى ميركون لاحضاره إلى ببك حيث يستقل مركبة الوالدة إلى التياترو ، إلا أنه خاطبنا بواسطة حرمه يقول : « إنه لما رجع مع أفندينا أمس الى سرايه أصيب بزكام ، فهو طريح الفراش لا يقوى على النزول » فاستغربت هذا التنحى فى هذه المرة ، كما أنه تنحى في المرة السابقة لما دعى لرآسة الاحتفال بعيد الجلوس . وأظن هذا التصرف مراعاة لخاطر البرنس سعيد حليم من جهة ، وحتى لا يصل الى علم الانجليز خبر يكدرهم منه . عنى أنه يريد أن يحفظ خط الرجعة ؛ فلما علم الخديو بذلك أمرنى أن أنوب عنه

فتوجهت الى التياترو ووصلت قبل الساعة الثانية ، فوجدت أعضاء اللجنة ورئيسها حمد الله باشا امين يستقبلون الزائرين ، وآنسات يبعن بعض الأشياء الصغيرة ، فجلست فى المقصورة التى كانت معدة الخديو ، ومعى يكن باشا ، واحمد بك فريد ، وابتدأت الحفلة بعزف الموسيقى للسلام الشاهانى ، فوقف الجميع على الأقدام ، ثم قامت فرقة تركية بتمثيل رواية تمثيلا متقنا ؛ ثم ألقيت قصيدة فى رثاء شهداء القتال للشيخ سليمان ناجي العمرى السورى وفيها أبيات جميلة عن مصر والخديو ورجوعه للعرشه ؛ وقد حازت قبولا وتصفيقاً من العرب خصوصاً والأعيان وأعضاء مجلس المبعوثان التركى ؛ وهذا الشيخ أعمى فألقاها عن ظهر قلبه

وحضرت بعده مدام ليني برنارد متبرعة ، ووقعت على البيانو قطعتين أظهرت فيهما مهارتها ؛ فأهدينا اليها طاقة من الزهور وهى على المسرح ؛ ثم أنشد الشيخ سليمان سلام الخديو «يازمان الهنا الخ..» وبعده قطعة من رواية «روميو وجوليت» ولقى الشيخ سليمان استحساناً عظيما .

وبعدها جاءت موسيقى دار الآثار العسكرية وهى مرتدية ملابس الموسيقيين القديمة بالعمم والقفاطين والأحزمة ، ولقد نجحت الحفلة نجاحا عظيما حتى أن الخديو أسف على عدم حضورها لما بلغته أنباء نجاحها الباهر .



احمد افندى فريد

معلومات وأسرار عن الحالة فى طرابلس :

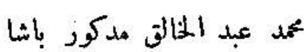
في يوم ٢٢ يناير زارنى فى سراى بيك رجل مصرى اسمه « احمد افندى فريد » حضر من طرابلس الغرب على غواصة ألمانية بصحبة نورى باشا شقيق أنور باشا ورفع لى عريضة لتقديمها إلى الجناب الخديوى فسألته عن دواعى وجوده في طرابلس ، وعلمت منه بأنه فى أوائل الحرب تشكلت جمعية سرية المؤسس لها هو على بك اسماعيل واسماعيل افندى

حسن من ضباط الحرس سابقاً ومن محمود بك عزمى الذى كان موظفاً بقولة



الميرالاى على اسماعيل بك





محمد عبد الخالق مدكور باشا

وعبد الخالق باشا مدكور سر تجار مصر ، وعلى باشا حلمى عضو الدومين سابقاً . وجبريل بك من مشايخ العربان ، والاثنان الأولان كانا يجتمعان بالشيخ الطيب السنوسى فى منزله بالسيدة زينب (وكنت أنا علمت ممن حضر الى الآستانه من رجال المعية الذين وصلوا من مصر قبل دخول الدولة فى الحرب باجتماع الضابطين المذكورين بالشيخ الطيب وحلف اليمين لديه على العمل ضد الاحتلال بتدبير ثورة فى الداخل ومساعدة السنوسيين ضد الانجليز) ودخل فريد افندى فى هذه المحالفة وقر الرأى على إرساله الى السنوسي بمهمة وقام من عزبة جبريل بك فى كفرالدوار ومعه أحد البدو مزوداً بخطاب من اسماعيل افندى حسن الى نورى باشا ؛ فلما قابل السنوسي وعلم منه أن قوة السنوسيين والأتراك غير كافية للهجوم على مصر ضد ٦٠ ألفاً من الانجليز بعث الى اسماعيل حسن خطاباً يحذر المصريين فيه من سوء العاقبة ، إذ اعتمدوا على قوة السنوسيين فى إحداث ثورة بمصر ؛ فلما وصل هذا الخطاب الى جبريل بك رده الى نورى باشا فتغيظ من فريد افندى وظن أنه جاسوس انجليزى وليس موفداً من قبل اسماعيل حسن ، وحبسه مدة حتى أرسل

يستعلم من مصر عن الحقيقة ، فورد الخبر بأنه ليس جاسوساً ؛ وعند ذلك أخرجه من السجن ، وعاتبه قائلا : «ولو أن قوتنا ليست كافية حقيقة ، إلا أنه ما كان ينبغى أن تخبر المصريين بها ، لئلا تضعف عزيمتهم ، وتقل شجاعتهم ، وتنحل عرى رابطتهم». وبعد ذلك اشترك مع نورى فى جملة أعمال ، حتى وثق به جداً وأحضره معه للآستانة

ومن كلام فريد افندى لى علمت أن طرابلس منقسمة الى جملة مناطق فمنها منطقة نفوذ السيد احمد الشريف وهو ميال (على قوله) الى الانجليز باطناً والى العثمانيين ظاهراً ؛ ومنطقة نفوذ السيد الأدريسى وهو ميال الى الايطاليين وموال للسيد احمد الشريف فى الباطن ؛ ومنطقة نفوذ رمضان السواحلى وهو من الأتراك ؛ ومحل وجود نورى ميناء مصراطة التى تأتى اليها الغواصات ؛ ولو أن شقيق أنور يعلم بموالاة الشريف للانجليز إلا أنه (على رواية فريد) لايجاهر بذلك لكى لايحمله على الانضمام علناً لأعداء الدولة ، فتسقط حجة الأتراك فى أمر الجهاد الدينى الذى أعلنه الخليفة ، ولم يعمل به أحد ، غير السنوسيين فى الظاهر . والدولة ترسل النقود والهدايا الى السيد احمد الشريف ، وآخر هدية كانت منذ شهر حيث أعطته ٥٠ ألف جنيه ذهباً ، ومثلها ورقاً . وكذلك علمت أن سر الاتفاق بين الشريف والأدريسى هو أنه إذا انتصر الأتراك يشفع الأول للثانى ، واذا انتصر الانجليز يشفع الثانى للأول ؛ وأن الواقعة التى نشبت بين السنوسيين في سيوه ، وبين الانجليز هى مظاهرة فقط ليظهر الشريف للأتراك أنه ذهب لمقاتلة أعدائهم ولكنه اضطر الى التقهقر أمام قوتهم فيثبت بذلك ولاءه للأتراك . والحقيقة أن هذه الواقعة وبالأحرى المظاهرة تم تدبيرها بين الانجليز والشريف بحيث لم يقتل ولم يؤسر من رجال الأخير أحد ، وكان فريد افندى حاضرا ، كما أنه كان موجودا فى الواحات الداخلة مع الشريف ، عندما طرد الانجليز السنوسيين منها .

ولما علمت بأهمية معلوماته طلبت اليه أن يرجع الى بيك يوم الخميس القادم

٢٤ يناير .

وفى هذا اليوم قدم الخديو وتباحثنا نحن الثلاثة في جلستين وأمر سموه أن يكتب فريد افندى تقريرا مفصلا بجميع الحوادث فى مصر وفى طرابلس وأمرنى أن أذهب الى أحد رجال قلم الاستخبارات الألمانية ، لأعرفه بوجود فريد افندى وبأهمية معلوماته لابلاغها لقلم المخابرات الألمانية فتوجهت يوم ٢٥ برفعة احمد بك فريد اليه ، وعرفته بملخص ماسمعته من فريد افندى وبأننى سبق أن اشتغلت بأمر

الخديو مع البارون أوبنهايم فى تحضير عمل يقوم به المصريون ضد الانجليز فى مصر من جهة حدود طرابلس الغرب ، وإرسال أسلحة وديناميت وأشخاص مصريين كانوا يتعلمون فى المدرعة « جوبن » صنع قنابل الديناميت . ولكن بكل أسف أن أنور باشا قال : « إن هذا من شأن الحربية » فلم نتمكن من تنفيذ مشروعنا . فقال رجل الاستخبارات ان الأتراك وحدهم لايمكنهم عمل شيء ، ولكن نحن الألمان بواسطة غواصاتنا ، يمكننا نقل مايلزم من الأدوات والأسلحة والنقود وإرسالها الى داخل مصر لتمكين المصريين من الانتقاض على المحتلين فتعلم الدنيا بأجمعها أنهم لايرغبون فيهم ، بل يريدون الاستقلال ؛ وبذلك يدحضون ادعاء الانجليز والثورة تساعد مندوبى الدولة وحلفائها على طلب إخلاء مصر ، وعلى كل حال أنه قد عرف من كلامى أن الخديو له رجال يعملون في مصر ضد الاحتلال ، وأن نفوذه موجود فيها .

وفي يوم ٢٦ منه حضر الألمانى ، واختلى بالخديو مدة ساعة ونصف ، وبعدها قابلت سموه وقلت : أن من صالح افندينا إرسال أحد رجاله الى طرابلس ليكون واسطة اتصال بيننا وبين رجالنا فى مصر ويدرس الحالة فى طرابلس من جهة إمكان عمل شيء بالاتفاق مع الألمان والأتراك وبهذه الطريقة يعلم محالفونا أن نفوذنا لم يزل باقياً ، ويقدرون قيمتنا حق قدرها . وقد راقه هذا الاقتراح ، إلا أنه لم يجد أمام نظره إلا مأمون افندى نجيب فقلت : « إنه شاب طائش لايعتمد عليه » فأبدى عدم اعتماده على عبد الله افندى البشرى ، حيث لايثق باخلاصه الثقة المطلوبة ، ولا بمحمد بك فريد لأنه قوال وليس بالفعال ، وقال عن احمد بك فريد إنه يخشى ألا يكون حسن التصرف . فقلت : « يا أفندينا اذا سمحت فانى أذهب بنفسى ، وأضحى بحياتى لصالح بلدى » قال « نعم ياشفيق أنت لست كغيرك ، فان إخلاصك ثابت ، ولكن عندما يبحثون عنك ولا يجدونك هنا ولا فى أوروبا والانجليز لهم جواسيس فى كل محل ، يعلمون بوجودك فى طرابلس »

وقد ظهر لى من ذلك أنه لايريد ارسال أحد المستخدمين ولا الضباط المعلومين للانجليز خشية الانتقام منه ، لأنهم يعلمون وقتها أنه هو الذى أرسل هذا الشخص الى طرابلس ؛ وهو يرجح احمد بك فريد على الآخرين لأنه غير معلوم عند الانجليز انتسابه للخديو مثلا .

وفى ٢٧ منه بناء على أمر الخديو توجه احمد فريد بك ، مع احمد فريد أفندى

الى رجل الاستخبارات الألمانى فشرح له الأخير الحالة فى طرابلس الغرب وسياسة السيد احمد الشريف والادريسى والسواحلى ، فكان من رأيه التوفيق بين الشريف والسواحلى حتى يتيسر جمع جيش عظيم ليقوم بعمل مفيد ، وفى حالة تعذر التوفيق تستدعى الحكومة العثمانية الشريف الى الآستانة وفي غيابه تنضم القبائل التى تحت نفوذه الى قبائل السواحلى وتسير الحملة على مصر لأن رؤساء قبائل الشريف على رواية فريد افندى يعلمون بنياته الخفية ، وغير راضين عنه إلا أنهم ملتفون حوله للمنفعة التى تأتيهم منه .

فأفهمت احمد فريد بك عند رجوعه من هـــذه المهمة باقتراحى إرسال أحد رجال الخديو لطرابلس للمخابرة مع رجالنا فى مصر وبأننى قدمت نفسى لهذه الخدمة . فأجابنى بأنه هو أيضاً فكر فى أن يذهب للعمل هناك .

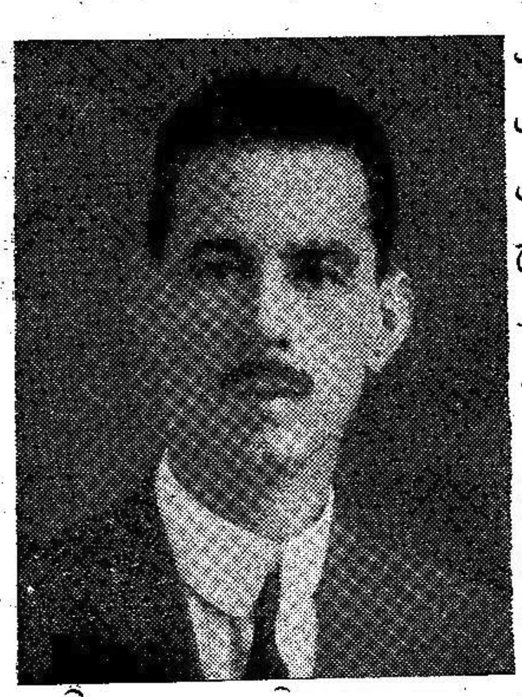
وقد عرضت على الخديو هذه المعلومات فلم يوافق على اقتراح الألمانى لأن السنوسى لايقبل السفر .

مندوب عثمانى في طرابلس للاصلاح بين زعمائها : وفي ٣١ يناير حضر إلى بيك يوسف شتوان بك رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية فى الآستانة وقابل الخديو وأعلمه : بأنه سيسافر إلى برلين لمقابلة الصدر هناك ومنها يتوجه إلى بنى غازى فى مهمة لأن الأحوال في طرابلس ليست على ما يرام وقد أرسل الخديو أحمد فريد بك إلى الألمانى ليعلمه بسفر شتوان بك لبرلين وبمهمته في طرابلس ، وليسأل هل السفارة الألمانية تعلم ذلك ؟ ولما رجع أفهمنا أنه لا يعرف شيئاً عن هذا الموضوع فأمره الخديو بأن يعود إليه ويرجوه ألا يذيع سفر شتوان بك ، وألا يعلم أحدا بأن الخبر منقول عنا ، وقد عاد لنا فقال : إنه روى الخبر للسفير فاستغرب وقال : « كيف تتصرف تركيا وحدها دون ألمانيا ودون الخديو؟ » وأرسل الخبر « بالشيفرة » إلى دولته .

وأخيراً علمنا من فريد أفندى أن مهمة شتوان بك هى اصلاح ذات البين بين الشريف والسواحلى ، وأنه أخذ معه هدايا فاخرة للزعيمين :

مشروع القيام بحركات حربية على حدود مصر الغربية : وفى يوم ٣ فبراير علمنا منه كذلك أن نورى باشا سيسافر إلى برلين ومعه محمود أفندى لبيب الضابط ، والأستاذ عبد الرحمن عزام ، المصريان ، ويطلب من ألمانيا ، الغواصة الكبيرة « دوتش لاند » للخدمة بين پولا وطرابلس مع الغواصات الصغيرة التى تشتغل الآن .

وذلك لنقل مهمات حربية استعدادا لاحداث ثورة فى مصر ، حيث علم أن الانجليز أخذوا من المصريين جنوداً ومؤنا أرسلوها إلى الجهة الغربية ، وكذلك أخذت فرنسا من تونس . ولذلك يرى نورى باشا مناوشة الفرنسيين على حدود تونس والانجليز على حدود مصر ، وإذا لم ينجح في كلتا الجهتين فهو على الأقل يضطر الدولتين لسحب جزء من جنودهما في الميدان الغربى .



الأستاذ عبد الرحمن عزام

الخديو يقترح احتلال سيوه : وفى يوم ٩ منه قابل الخديو سفير ألمانيا في السفارة وتحادث معه فى فى شئون طرابلس ، وما يريد نورى باشا عمله ، ومهمة شتوان بك ثم أبدى أنه يفضل استبدال الأمير دومكلنمبورج الألمانى بالمندوب الألمانى الموجود بطرابلس لأن الأمير يستطيع مع بعض المصريين تشكيل قوة مصرية بقيادة ضباط مصريين يمكنها بسهولة احتلال سيوه .

وقد ظهر لسموه أن السفير يجهل وجود مندوب ألمانى فى طرابلس ، وأنه يرى ألا ضرورة للقيام بحركات في هذه الجهة ، بل يكتفى فيها بالدفاع . وقد استنتج الخديو من ذلك أن الألمان لا يهتمون الآن بمصر فعاد متألماً .

ترقية الضباط المصريين بطرابلس : وفى يوم ١٦ علمت من الخديو أن أنور باشا أمر بترقية جميع الضباط المصريين بالجيش التركى بطرابلس إلى رتب أعلى من من رتبهم ، وصرف جميع مرتباتهم حسب الترقية الأخيرة ، وأمرنى سموه بمقابلة أنور وشكره على مافعل . وبعد ذلك أهمل المشروع الذى كان يهم به الخديو.

بين الخديو ورجال الحزب الوطنى :

عباس يقرب الشيخ جاويش : بعد وصولنا من السويسرة إلى الآستانة كان الشيخ عبد العزيز جاويش قد حضر لسراى ببك مسلما ، ولكن الخديو لم

يهتم به ، نظراً لما كان يعلمه عنه من العمل ضده والانتماء للصدر سعيد حليم ، ولكن توترت العلاقات أخيراً بين الخديو ومحمد بك فريد ، فرأى أن يقرب إليه الشيخ جاويش ، فأوعز إلى أحد رجال الحاشية بأن يفهم أحمد بك صادق ، انه إذا أقنع الشيخ جاويش بالحضور إلى بيك ، فان الخديو يسر منه . وبناء على هذا بذل صادق لك جهده فى اقناع الشيخ بالحضور إلى السراى ، وفى ٢ فبراير حضرا معا وقابلا الخديو طويلا ، وتحادثوا فى موضوعات كثيرة .



الشيخ عبد العزيز جاويش

وقد علمت أن الشيخ أنحى على الأتراك فى حضرة الخديو قائلا : « ان كبارهم يأمرون ، ولكن صغارهم يعرقلون التنفيذ وإنه خدم الدولة كثيراً ولم ينل أية فائدة لشخصه » .

ثم ذكر بعد ذلك أنه عقد فى برلين مؤتمراً من المصريين ، ودعا إليه محمد بك فريد رئيس الحزب وتصالحا ، وعملا معاً ؛ وأنه من وقت رجوع الخديو يرى أنه آن أوان العمل فى المسألة المصرية باشرافه . فأجابه سموه بأنه مستعد للعمل .

وفى يوم ٥ فبراير توجهت بناء على الأمر لمنزل الشيخ لزيارته ، ولما لم أجده تركت له خبرا بدعوته لتناول الطعام غداً معى فى فندق بيرا بالاس .

وقد حضر فى الميعاد فأخبرته بارتياح الخديو لزيارته ، والمعلومات التى أعطاها لسموه ، وأن الوقت لم يسمح ببحث الموضوعات التى عرضها ، ولهذا يدعوه الخديو لمقابلته .

مؤتمر الحزب فى برلين : وقد علمت منه تفصيلات عن المؤتمر الذى عقده فى برلين . وذلك أنه أرسل برقية لفريد بك رئيس الحزب ، فلما التقيا سلم عليه فريد سلاماً غير ودى ، فانتهز هذه الفرصة وقال له : « إنه يريد أن يعلم سبب هذه الجفوة » فرد فريد : بأن السبب هو أنك لم تتبع خطة الحزب الوطنى . فقال له الشيخ : « وإنك

تهمنى فى مسألتين : الأولى . أننى معضد لارتقاء البرنس سعيد على الأريكة المصرية ولكنك لايمكنك أن تقوم بأثبات ذلك » ثم أقسم الشيخ بأنه لم يفاتح البرنس مطلقاً فى مسألة كهذه ، وأن زيارته له فى بعض الأحيان هى لصلة قديمة بينهما ، وعرفنى الشيخ أنه فى مدة صدارة البرنس كان يسعى فى تعيين بعض المصريين فى إدارة الحكومة العثمانية ، وأشار إلى مصطفى باشا ماهر ، وأن عماد الدين كان قد كتب ترتيباً بأسماء المرشحين للمناصب في الدولة . وقال الشيخ لفريد بك : « والمسألة الثانية أنك تدعى بأنى من المحبذين لضم مصر لتركيا كأنها ولاية من ولاياتها مع أننى توجهت معك إلى طلعت باشا ، وسمعنا منه أنه لم يبحث في إدخال تغيير على حالة مصر ، وأن ادارتها أحسن من ادارة الدولة ، فلا معنى لأن نتداخل فى شئونها وفضلا عن ذلك فأنى أنا المصرى الوحيد الذى حصل على كتابة بأن الدولة لاتنوى أن تغير شيئاً فى حالة مصر بل تردها إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال » فشكرته على مسعاه الحميد ، وأردت أن يفصح لى عن هذه الكتابة ، فقال : « إنه كتب لأحد رجال الحكومة ، يستعلم عن نيتها نحو مصر ، فأجابه بما سبق التنويه عنه » وأضاف على كلامه مايفيد أنها ليست كتابة رسمية .

ومن كلام الشيخ : أنه عندما ذهب فى المرة الأخيرة إلى برلين رجاه اثنان من النظار العثمانيين ألا يحمل على فريد .

وقد تخلص من هذا الكلام بأنه دعا فريد بك إلى الأعراض عن الوشايات ، وأن يشتغل المصريون جميعاً على خطة واحدة ، ثم أظهر التذمر من بعض أفعاله ، وأن الشبان تركوه ، والتفوا حوله هو فقلت : « إننى ألوم فريد بك على مسألتين : الاولى الحقد ، والثانية الاهتمام بالشخصيات أكثر من العموميات » ، وضربت له مثلا بما جرى بينه وبين الخديو من التنافس والشقاق ، ثم قلت : « ولكن لما رجع سموه إلى الأستانة كان يجب عليه أن ينسى الحقد والشخصيات ، ولا يتكلم فيما فات ولكنه مع الأسف الشديد كتب فى مجموعة الحزب الوطنى التى يصدرها فى استكهولم ، أن دخول الخديو في مسألة بولو باشا التى هى في صالح الألمان ، يبعد الحزب الوطنى عن سموه » .

فقال : إنه لم يطلع على ما كتبه فريد فى هذا الشأن ، لأنه بالفرنسية وعابه قائلا : « إن جميع الملوك لهم هفوات ، وهفوات الخديو أقل من أمثاله ، والحزب

الوطنى لم ينتقد سموه فى جريدته من أجل الشخصيات بل العموميات » .

قلت : « إن جنابه العالى لم يخل من الغلط والمؤاخذة ، إنما أقدر أن أقول : إنه في مدة ولايته وهى ٢٢ سنة ، ما كان يوماً يعمل ضد صالح الوطن ، فاذا قيل : إنه كان فى مـدة غورست سائراً على وفاق مع الأنجليز ، أجيب على ذلك بأنه كان يسعى فى هذا الوقت إلى توسيع امتيازات مجلس شورى القوانين ، وعلى كل حال إن اختياره الأقامة فى الاستانة بجانب الخلافة رغم تهـــديد الأنجليز ، وإضاعته لعرشه ، كل هذا كاف لنسيان مافات » فوافق وقال : « انه قد أزف الوقت ، فما عندنا إلا فترة من الآن إلى اكتوبر الآتى الذى أرى أن يتم فيه الصلح ، فيجب علينا أن نستعد أثناء هذه الفترة للعمل » قلت: « إن الخديو ، عند ماقرأ فى جرائد الاستانة أن مؤتمر البلاد الأسلامية فى شرق أفريقيا قرر استقلال مصر والجزائر وتونس ومراكش أرسلنى سموه إلى الصدر لأقول : « إنه لايعلم شيئاً عن هذا المؤتمر » . فطلعت باشا أجابنى بصراحته المعلومة أن الحكومة السنية هى التى أوفدت المندوبين من مصريين وهنود إلى استكهولم لهذه الغاية » فقال الشيخ : « نعم هذا هو برنامج الصدر » وأخبرنى أنه وجد مرة في القطار بألمانيا مع الجنرال زكى باشا ، الذى كان قائداً على حملة مصر قبل جمال باشا والآن هو المندوب العسكرى فى مؤتمر الصلح واستطرد الكلام إلى مسألة مصر واستقلالها ، فقال الجنرال : « إن القطر المصرى لما كان مستقلا أفاد الدولة العثمانية فى حروب عدة فخير لنا نحن الأتراك أن نراه مستقلا » قلت: « ولكن بكل أسف لانرى حراكاً للألمان نحو مسألتنا مع أنهم ما كانوا ليستمروا فى هذه الحرب لو اعتنوا بالحملة المصرية وضربوا الأنجليز فى مصر فكانت انجلترا تخضع للصلح من زمن مديد » قال: « قلت أنا ذلك في وقتها فبدلا من إرسال الجيوش الجرارة إلى القفقاس وفى كل الجهات كان الأولى العناية بالحملة المصرية لكن المسئولية فى ذلك على قيصر ألمانيا وولى عهده فأنهما من المتسببين فى تأخير الحملة لدواع حربية كان يقتضيها الدفاع عن النمسا وبروسيا الشمالية »

قلت: « على كل حال ينبغى علينا نحن المصريين أن نهتم بشئوننا » . قال: « ولذلك سأسافر لألمانيا بعد أسبوعين أو ثلاثة » فقلت: « عليك أيها الأستاذ أن توحد كلمة المصريين » ثم أخبرته بعزمى على السفر أنا أيضاً إلى سويسرة . فقال : « ياحبذا لو سافرت معك لأننى أرغب أن أقضى بضعة أيام بها » قلت : « يكون هذا من حظى

وهناك نبذل جهدنا في اجتذاب المصريين إلى الوحدة حتى نكون كتلة واحدة خصوصاً وأن من بينهم بعض العقلاء الذين هم بكل أسف مشتتون فى آرائهم السياسية فلو أرشدناهم إلى الطريق المستقيم فذلك خير ، لأن الألمان يزعمون أننا كمية مهملة أولا : لأن المصريين فى مصر لايحركون ساكنا ولا يثورون على الحكومة المحلية مع أنهم معذورون حيث لاتوجد أسلحة بين أيديهم وليس لهم سند يركنون إليه وثانياً : لأنهم ينظرون إلى انقسامنا فيضحكون منا » فقال: « لوسافرنا نبذل جهدنا فيما هو لازم » ثم أثنى على فؤاد بك سليم قائلا: « إنه اشتغل جيداً فى المدة الأخيرة » .

ثم قال: « أما مايدعيه الألمان من أن المصريين لم يصنعوا شيئاً فى هذه الحروب فأننى فى خطبة ألقيتها فى برلين باللغة الأنجليزية وترجمتها إلى العربية ستصدر فى العالم الأسلامى ، أظهرت الخدمات الجليلة التى قام بها أبناء النيل حتى فى وقت ضغط الأنجليز عليهم فأنهم أبوا الدخول فى الحرب ، مع أنه كان يمكن تجنيد مليون عسكرى منهم »

وفى أثناء تناول الطعام مر علينا جمال باشا فسلم على الشيخ : ولما خرج من غرفة المائدة وقف أمام مائدتنا ، وكلمه بالعربية بأنه إذا أراد مقابلته فيكون ذلك فى النظارة بعد الظهر .

ولما عدت ورويت للخديو حديثى مع الشيخ جاويش قال : « ربما يكون طلعت باشا الصدر هو الذى أوحى له بالتقرب منا » .

وفى صباح ١١ قابل الخديو الشيخ جاويش فدعاه لتناول الغذاء معنا . وقد أخبرنى الخديو عما يظنه من أسباب ميل الشيخ عبد العزيز لجانبه فى الأيام الأخيرة . وأن غرضه من ذلك هو أن يجعل لنفسه شأناً ، وأنه عرض على سموه فكرة جمع المصريين في برلين المنقسمين أحزاباً وشيعاً وتوحيدهم جميعا ، وبهذا تكون له الكلمة العليا عليهم وعلى فريد بك أيضاً ، وطلب من سموه الموافقة على هذه الفكرة حتى يجمع المصريين المقيمين بالاستانة أولا ويخبرهم بأنه متفق مع جنابه على هذا العمل ، وأن سموه قد وافق على طلبه ، وأخيراً طلب من الخديو ألا تكون بينه وبينه واسطة بل يتلق الأوامر هو رأساً .

وكذلك حادثة الخديو فى تخاوفه من إهمال الألمان للمسألة المصرية واعتبارهم إياها مسألة تركية بحتة ، فأجاب الشيخ بأن هذا هو الواقع ، فتحقق سموه ما كان يظنه من قبل ويتخوفه من هذا القبيل .

الشقاق بين زعماء الحزب الوطنى : وفى يوم ١٤ أخبرنى الخديو أن الشيخ جاويش بعد أن اجتمع بسموه فى المرة الأخيرة جمع المصريين المقيمين بالاستانة وكان واقفاً مع احمد بك صادق لأيهامهم أنه يعمل برضى الخديو ، لأن صادق بك رجل سموه ، وأخبرهم أنه اتفق معه على تشكيل هيئات تمثل الأحزاب فى مصر ، وأنه هو سيتكلم بالنيابة عن جميع هذه الأحزاب للدفاع عن صالح البلاد ، فانبرى له أحد الحاضرين وواجهه بأنه إنما يقصد من ذلك مناوأة محمد بك فريد والظهور عليه ، وامتنعوا عن مرافقتـــه قائلين : « إنهم لايظنون أن الخديو يوافق على هذا البرنامج . . . »

قال سموه : « والشيخ لم يحسن السياسة لأنه اشتبك مع الدكتور أحمد فؤاد فوقع بينهما جدال شديد » .

وقد كنت أعلم أن عباساً يسره وقوع هذا الشقاق بين رجال الحزب الوطنى فعنـدما أخبرنى بذلك قلت : « هاهى ذى نفحات سياستك ظهرت ، فأنت الآن أوقعت الشقاق بين جاويش وفريد وفؤاد » فأظهر سروره ، وضحك كثيراً ، وربت على كتفى مرات . ثم أخبرنى كذلك أن الشقاق قد وقع بين المصريين المقيمين هنا وبين احمد بك صادق ، لأنه كان معضداً لسياسة الشيخ جاويش ، وأراد إفهامهم أن الخديو موافق على هذه السياسة ، لينفضوا من حول فريد فحنقوا عليه لذلك .

غضب الخديو على الشيخ جاويش : وقد ظلت العلاقات حسنة بين الخـديو والشيخ جاويش ، حتى علم سموه يوم أول ابريل أنه ذهب مع شكيب أرسلان إلى البرنس سعيد حليم ، وطلبا منه أن ينتهز أول فرصة ، ويستوضح الحكومة فى مجلس الأعيان عن سياستها نحو احتلال الانجليز لمصر .

وقد أخبرنا الخديو بما علمه وهو محتد ، قائلا : « كيف يطلب هؤلاء الناس من سعيد حليم ذلك ، مع إظهارهم لنا الأخلاص والولاء ؟ ولا يزال إذن حزب الصدر موجوداً يعمل لصالحه ضدنا »

ومن هذا الوقت غضب الخديو على الشيخ جاويش وانقطعت العلاقات بينهما

محاكمة بولو واعدامه : فى يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩١٧ تقرر أن يكلف ثريا بك من قبل الخديو بأحضار يوسف صديق إلى الاستانة ، خوفا من أنه بعـد سفر عباس إليها يستدعى إلى باريس ، ليشهد على بولو باشا فى القضية التى أقيمت عليه

ويفشى الأسرار التى يعرفها فى مسألة المبالغ التى صرفت من ألمانيا .

وعلى ذكر هـذه المسألة أقول : إننا قرأنا بعض ما كتب في الجرائد الفرنسية فقال عباس : « إن يوسف أفشى ما كان يعلمه من إرسال المبالغ من بنك درزدن إلى بنك زوريخ » فاقترح شديد أن يطلب سموه من مدير البنك بأن يرجع الشيكات إلى برلين ، أو يضعها فى ظرف ، ويختم عليه بالشمع الأحمر ، حتى لايتسنى لأحد أن يلتقط صورها برشوة تعطى لمستخدم البنك . قال سموه : « ولا يعرف أحد كيف تصرفت أنا في هذه المبالغ لأنها سلمت من يدى لأيدى آخرين مباشرة فالمعلومات المنشورة فى الجرائد مأخوذة من تقرير يوسف باشا الذى يحتوى ١٨ صحيفة ، وقرأه على الشمسى بك ، والخوف من أنه بعد سفرنا إلى الاستانة يأخذونه لفرنسا ، ويواجهونه بموسيو بولو ، ليصلوا إلى اعترافات منه تجرحنا لأنه إلى الآن لم يقل شيئاً ضدنا ، أما كافاليني فانه فى أمان بأيطاليا ؛ وكانت السلطة العسكرية الفرنسية ستقبض عليه فى الحدود ، ولكن الأيطاليين توسطوا له وهكذا تخلص ، وأظن أنه لايمكن إكراهه على دخول فرنسا وأننى سبق أن أوصيته كثيراً ، وحذرته من إفشاء السر فلا خوف علينا من جهته » .

قلت لسموه : « إنه من المحتمل أن المعلومات التى كتبتها الجرائد الفرنسية مأخوذة من الأوراق المضبوطة عند يكن باشا » فنفى ذلك لأن الاوراق ليس بها شيء مما نشر . .

فزع الخديو : وفى يوم ١٨ فبراير سنة ١٩١٨ قرأنا فى الصحف أن بولو بعد محاكمته في فرنسا صدر الحكم عليه بالأعدام ، جزاء على المشروع الذى كان يهم به ولما علم الخديو بالخبر اضطرب له ، وقال : « إنه ليس حكما فرنسياً بل هو انجليزى » يعنى أن الانجليز هم الذين هيئوا أسبابه . ثم قال : « وبعد ذلك سيحاسبوننى أنا أيضاً على هذا العمل » ثم أبدى أسفه على أن الألمان الذين حبذوا هذه الفكرة ، قد تركونا ولم يهتموا بنا ، والاتراك من جهة أخرى لايعلقون أهمية على هذه المسألة وأخيراً أمرنى بأن أقابل الدكتور بروفر مدير قلم الاستخبارات الألمانية بالاستانة وأطلب منه أن ينوب عن سموه فى مقابلة سفير ألمانيا ، ورجائه بأن يطلب من برلين إرسال كل مايكتب فى الجرائد الفرنسية والأنجليزية فى مسألة بولو ، ولا سيما مايرد فيها عن الخديو . وكذلك أن يستقصى هل من الممكن الاستفهام بواسطة

برلين من مصر عما يدور فى أفكار الانجليز من ناحية المسألة المذكورة ، لكى يكون على بصيرة بما سيقررونه فى هذا الشأن ، لتدارك الخطر قبل وقوعه .

ولما قابلت بروفر وعد بعمل اللازم ، وأبدى لى رأيه في أن الانجليز لابد أن ينتقموا من الخديو في مصر .

ثم أمر عباس بجمع كل ماحصل من يوسف صديق من أول مخابراته مع الألمان بالاستانة ، للاتفاق بين سموه من جهة وبينهم وبين الأتراك من جهة أخرى ، واقتراحاته عن أعمال بولو وكافاليني في مسألة الدعاية ، ومخابراته مع ناظر خارجية ألمانيا . . . الخ .

وقد قال : « إن بولو مظلوم ، والذى كان يجب شنقه هو يوسف صديق أصل كل المصائب » ثم قال : « وبما أن احمد بك صادق عدو يوسف ، ويعلم عنه أموراً فسأحرضه على وضع تقرير بما يعلمه عنه ، وكذلك عبد الله البشرى فأنه يحيط ببعضها ، ويكتب تقريرا آخر لاستخدامهما إذا لزم الحال » .

تشهير الفرنسيين ببولو : وقد نشرت فى باريس ثلاث رسائل تضمنت معلومات تفصيلية عن شخصية بولو وأعماله ومحاكمته ، وتنفيذ الحكم عليه ، ومما ورد فيها : أنه وصلت أخبار للحكومة الفرنسية عن مشروع بولو ففتح تحقيق فى باريس ولكن لم يقبض عليه لعدم توفر الأدلة ضده . وفى أوائل سنة ١٩١٦ علمت بدخول عشرة ملايين فرنك باسم بولو إلى أمريكا ، فازدادت شبهتها فيه ، ولما دخلت أمريكا الحرب سنة ١٩١٧ أرسلت اليها لجنة تحقيق ، وبعدها قبض على بولو . وتنقسم أعماله إلى قسمين :

١ — فى سويسرا : فى فبراير سنة ١٩١٥ حصلت مقابلة فى جنيف بين بولو وصديق باشا ، عرض الأول فى أثنائها على الثانى مشروعا مهماً لفصل فرنسا عن انجلترا فى عقد صلح على انفراد مع المتحالفين ، وشراء بعض الجرائد الفرنسية للترويج لهذه السياسة ؛

واختار بولو من بين هذه الجرائد الطان والجورنال والرأبيل . . .

وحدثت بعد ذلك مقابلة أهم من الأولى في زوريخ ، بين بولو والخديو ، ومدام لوزانج ، ويوسف وكفاليني . وقد استحسن الخديو مشروع بولو وعرضه على موسيو سميرين النائب المجرى ، وكذلك على الكونت مونتس سفير ألمانيا

فى روما سابقاً . وهذا الأخير وافق عليه ، ووعد بالكتابة إلى فون ياجو وزير الخارجية الألمانية . وقد سافر يوسف لمقابلة الوزير الذى قبل المشروع وخصص لتنفيذه عشرة ملايين من الفرنكات على أن يدفع مليونان ونصف مليون فى كل من الشهرين الأول والثانى ، وبعد ذلك يدفع مليون كل شهر .

وأن الخديو ويوسف وكافالينى قبضوا المبلغ ، ولم يوفق بولو إلا لشراء بعض أسهم الرايبل بمبلغ ١٧٠ ألف فرنك .

ولما جاء موعد دفع القسط الثانى أراد هؤلاء الثلاثة إبعاد بولو من توزيع هذا القسط كما سبق ، وأن يختصوا هم بالعمل دونه ؛ وعهد إلى كافالينى بشراء أسهم الجرائد ، فلم يفلح .

ولما أخفق الخديو فى محاولة شراء الجرائد طالبته ألمانيا بدفع ما بقى عنده من القسط الثانى ، وهو ٨٣٥٠٠٠ مارك . وكان متردداً فى دفعه بنصيحة لوزانح إلا أنه فى آخر الأمر اعطى شيكا بهذا المبلغ لمسيو بادل مندوب وزارة الخارجية الألمانية .

٢ — فى أمريكا : وقد أراد بولو أن ينفذ مشروعا خاصا به ، ولذلك تخابر مع مسيو هومبرت النائب ومدير جريدة « الجورنال » واتفق معه على مشترى ١٢٨٠ سهما بمبلغ ٠٠٠ و ٥٠٠ و ٢ فرنك تدفع بعد الحرب ، فذهب إلى أمريكا ومعه العقد المبرم بينه وبين موسيو هومبرت ، وبواسطة موسيو بافينستيد الموظف فى بنك « جيرمانو أميركانو » تمكن من عرض مشروعه على الكونت بيرنتورف سفير ألمانيا فى واشنجطون ، وطلب منه لتنفيذ مشروعه عشرة ملايين من الفرنكات فانخدع بيرنتورف ، وأرسل برقية إلى فون ياجو بذلك ، فجاء الرد بالقبول ، وأرسل المبلغ على جملة مصارف فى نيويورك .

وقد اشتبهت السلطة الفرنسية فى المبالغ التى وردت باسمه إلى أمريكا ؛ ولكنها لم تجد الأدلة كافية . وعند دخول أمريكا الحرب أسرعت بارسال لجنة تحقيق إليها ؛ وعندئذ قبض على بولو الذى أنكر أن هذه المبالغ وردت فى ألمانيا ؛ وادعى أنها من نقوده الخاصة وكانت مودعة فى أنفيرس

شهادة يوسف صديق تسبب إعدام بولو : ولكن ثبت من التحقيق غير ذلك وكان من الأدلة التى اتخذت ضده معلومات حصل عليها مراسل جريدة الماتان من يوسف صديق باشا . وقد كانت هذه المعلومات سببا فى إعدامه

رحلة للسويسرة كلها متاعب وآلام : بعد ما عدت مع الخديو إلى الأستانة ، وانتهيت من ترتيب ما يلزمه من المخصصات والرواتب للحاشية والسراى ، وانتهيت كذلك من حفلة عيد جلوسه على ما يرام ، واستقرت معظم المسائل التى تشغل باله ، استأذنت فى السفر إلى سويسرة للاستشفاء ، ولاستصحاب أسرتى والعودة بها إلى الاستانة ؛ وقد اجتهدت فى استخراج جواز سفر سياسى لأضمن عدم تفتيش أمتعتى ، وقابلت الصدر لهذا الغرض فأمر بتسهيل طلبى

أوامر بخصوص عبد المنعم : وقد كان معى من التعليمات التى أخذتها من الخديو عند سفرى فيما يختص بالبرنس عبد المنعم . ألا أهتم بشىء عنه ، ولكن لما وصلت إلى سويسرة أرسل دولته يطلب مقابلتى ، فأجبت رسوله رشيد بك بأن الأصوب ارجاء المقابلة حتى لا يسىء الانجليز الظن به وبى ، وربما فهموا أننى قدمت لاستمالته إلى والده ، ولما بلغه ذلك اقتنع ، ولكنه تأثر وقال : « انه يحبنى ويقدرنى وأنه كان يريد أن يسألنى عن أخواته » فأبلغت رسوله أخبارهن

بريد الخديو وطبيب خاص له : وكنت قبل سفرى وعدت الخديو أن أتفق مع قنصل جنرال الدولة فى جنيف على ايصال البريد الخديوى للاستانة ، وقد تم ذلك ، وصارت الرسائل تصل له وترد منه في مدة قصيرة

وكذلك كان سموه قد اختار طبيب أسنان من السويسرة ، ولكن سفره تعطل من ناحية الحكومة السويسرية ، فتوسطت لديها حتى صدر إذنها للدكتور بالسفر

وقد جاءتنى رسالة من البشرى بشكر الخديو على إنهاء هاتين المسألتين

الاستعداد للعودة إلى الاستانة : أخذت فى إعداد معداتى للسفر من سويسرة أنا وعائلتى ، فاستدعيت نجاراً ليرتب الاثاث فى صناديق كبيرة ثم ذهبنا إلى بادن للاستحمام علاجاً للروماتيزم الذى كان ينتابنى

أمانة السويسريين : وهناك جاءتنى رسالة من النجار بأنه وجد فى أحد الصناديق خاتم زواج من الذهب ، مكتوباً عليه اسم « عزيزة شفيق » سلمه له صبيه ، وهو يرسله لنا ؛ فأعجبت بأمانة الصبى والنجار وأرسلت له رسالة شكر ومعها مكافأة

وعلى ذكر هذه الأمانة أذكر أننى كنت يوماً مع حرمى نؤدى بعض الزيارات

فى جنيف ، فافتقدت ساعتها ، وبها جديلة ذهبية ودبوس ، فأعلنا عن ذلك ولم تمض ثلاثة أيام حتى جاءت سيدة فقيرة ، وسلمت انا الأمانة الضائعة بعد التأكد من أنها لنا

وكذلك فى مرة أخرى كنت ذاهباً إلى لوزان ، ومعى حقيبة ومظلة وأنا أسرع لادراك القطار المتسلق لزيارة فؤاد علوى (ابن الدكتور علوى) المريض بالسل فى مصحة فوق لوزان . ولشدة العجلة وضعت المظلة على شرفة فندق ونسيتها ، وبعد عودتى بأيام جاءتنى المظلة ، وكان منصور القاضى قدأعلن عن ضياعها ، وعلمت أن أحد المارة رآها فسلمها لمكتب الشرطة الذى علم أنها لى فأرسلها مع جندى

السفر : فى يوم ١٧ مايو سافرت من جنيف ومعى أسرتى وأسرة عبد الحميد شديد بك فأمضينا ليلة في بوكس ، ومنها إلى فلدكرش ، وعند قيامنا منها لم يستحضر الحمال كل أمتعتنا ونسى ثلاث حقائب ، ولم نعرف ذلك إلا بعد قيام القطار فاضطررنا إلى النزول فى بلودنس ومنها عدت إلى فلدكرش ، واستحضرت الحقائب ، وفى يوم ١٨ منه قمنا إلى أنسبروك فوصلنا إليها قبل الساعة السابعة مساء

وكنت قد حجزت مقاعد لنا فى القطار السريع الذى يقوم بعد وصولنا إلى أنسبروك ببضع دقائق

ضياع حقيبة بها حلى ونقود : وقد تعبنا لأن أمتعتنا كانت كثيرة يضاف إليها الأطفال . ولما قام بنا القطار لاحظنا أن الحقيبة التى بها حلى حرمى والنقود الذهبية تركت فى أنسبروك فأخطرنا الكمساري الذى نبه بالتليفون عند أول محطة للبحث عنها ، وجاء الرد من المحطة التى نسيت فيها بأنها سترسل عند وجودها بقطار الصباح إلى فينا ولكنها لم تحضر

انتظار عباس بالقطار فى بودابست : ووصلنا الى فينا صباح ١٩ منه ، وأمضينا الليلة ، وفى ٢٠ وصلنا الى بودابست بناء على أمر الخديو — وكان فى أثناء غيابى قد دعاه امبراطور ألمانيا لمقابلته بقصد زيارة خطوط النار ؛ وقد أتم هذه الزيارة ، وفكر فى العودة ، فأبرق لمقابلتى — وقد نزلنا بفندق هونجاريا ، وعلمنا أن الغرف محجوزة لسموه وحاشيته ، وتأخرحضوره جملة أيام ثم وردتنى برقية أخرى لمقابلته بمفردى فى المحطة . ولما وصل القطار قابلته وكان فى صالون ، وطلعت باشا فى آخر ، وأحد أولاد السلطان عبد الحميد فى ثالث ، فسألته عن الحالة السياسية ، فأجابنى :

« المسألة لأجلنا بطالة » وكان الكدر بادياً على وجهه . وقال : إنه طلب إضافة مركبة نوم لأخذ عائلتي وعائلة شـــديد ، ولكنهم قالوا فى برلين أنه لاتوجد مركبات خالية .

عودة الى الحقيبة الضائعة : وبعد ذلك رجعت الى انسبروك ، فعلمت أن الحقيبة الضائعة قد سلمها الحمال لأحد مستخدمى المحطة ، وهذا ادعى أن أحد الأتراك حضر بعد قيام قطارنا ، وذكر أنه مرسل من قبلى لأخذ الحقيبة ؛ ولكن لم يعرف اسمه ، ولم ير جوازه ، ولم يكتب محضر جرد وتسلم لتوقيع المتسلم عليه ولم يثبت أنه سلمها له أمام شخص ثالث ؛ فذهبت الى قاضى التحقيق ، الذى فتح « محضراً » دون فيه معلوماتى وملاحظاتى على تصرف الموظف ، وقد اتهمته باخفاء الحقيبة .

الرجوع الى بودابست وهدنة البلغار : ثم عدت الى بودابست بعد أن سلمت الأوراق لأحد المحامين فى فينا ؛ وتركت عبد الحميد شديد وعائلته انتظاراً لقطار آخر لعدم وجود أماكن كافية لنا جميعاً . ولكن علمنا فى نيش أن البلغار سلمت للحلفاء ، وأن الطريق قطعت ؛ وقد أثار هذا الخبر هياجاً عظيما بين المسافرين ، وكان الزحام والحيرة في هذه الليلة كأنهما في ليلة الحشر .

وقد نزلنا فى خان قذر ، ذقنا فيه الأمرين ولم يكن به غير سريرين ، مع أننا كنا خمسة .

وفي الصباح حاولنا السفر الى بلغراد ، ولكنا لم نجد أماكن فى القطار لشدة الازدحام ، لولا رأفة جماعة من البحارة والجنود الألمان فى « جوبن » الوابور الحربى الألمانى بالاستانة ، فانهم قبلونا معهم فيغرفة بالدرجة الثالثة ، وقد كنا عشرة مع أمتعتنا . وساعدونا كذلك فى بلغراد على نقل الأمتعة وإيجاد غرفة فى خان بهـا أربعة أسرة وأنظف قليلا من التى فى نيش .

متاعب ومرض وآلام : وكان من جراء هذا الاجهاد أن أصابتنا جميعاً الحمى الوافدة ؛ واشتدت وطأتها على حرمى ، عداما أصابها من الضعف .

وبعد ذلك عدنا الى بودابست ، وكانت حالتنا الصحية سيئة ، ولاسيما حرمى ، فان المرض أثر فيها كثيراً ، بحيث لم تتمكن من النزول على سلم الخان إلا زحفاً .

وأقمنا فى « بنسيون » أسبوعا بكل رجاء ، لأن صاحبته كادت تخرجنا لما عاينته من مرضنا ، وحضور الأطباء لمعالجة حرمى ، وتوقعهم وفاتها .

وتوجهت بعدها الى فندق آخر وحجزنا غرفتين بهما أربعة أسرة . وهذا الفندق الجديد فى غاية النظافة ، وبه حديقة غناء ، وحمامات من أحسن مارأيت والأبهاء جميلة الأثاث ، ومديره طبيب .

وقدارتاحت حرمى وتعافت نوعا بعد أسبوعين إلا أن كريمتى أصيبت بالدفتريا فأمر طبيب الفندق بارسالها الى مستشفى الحميات ، ورافقتها والدتها ليلا ، وكانت حالتنا مزعجة .

وبعد أيام خرجت حرمى من المستشفى بعد أن اطمأنت على صحة كريمتنا ، ثم أصيبت فى اليوم الذى خرجت فيه باضطراب معوى شديد

وقد تركنا هذا الفندق إلى فندق آخر فى مرجريت من جراء وقوع انقلاب في حكومة بودابست الى النظام البلشفى ، واحتلال المنتمين للبلشفية لهذا الفندق . وكان رئيس الحكومة يسمى « بلا كون » . وقد استولى البلاشفة على سوق الأغذية ؛ وخصصوا بعض المحال لهم ، وعليها شارات حمراء ، وبعضها لغيرهم . ونظراً لأن الطبيب أمر بأن تتناول حرمى أطعمة جيدة كنت أذهب الى السوق قبل الفجر للحصول عليها ؛ وكان المشترون يقفون بترتيب حضورهم صفاً طويلا أمام الدكاكين ومع أنى كنت أبكر إلا أننى لم أكن أجد ما أطلب فى بعض الأحيان . وكان هذا الاجهاد مما يثير أعصابى ، ويجعلنى كثير التهيج ، حتى أننى لم أكن أطيق ضحك أولادي ولعبهم ؛ وأثر هذا في أعصابى تأثيراً سيئاً

ولما اعتدلت صحة حرمى عزمنا على السفر ، وتمكنت من سحب أموالى ، وتقييد اسمى للسفر في القطار الصحى

وفى يوم ٧ يوليو سافرنا فوصلنا الى فينا بعد يومين

ولم نعثر على فندق نستريح به إلا بعد المرور على عدة فنادق مزدحمة فحمدنا الله على ذلك

وفى يوم ١١ يوليو قدمت نفسى للدكتور فوكس الرمدى ذى الشهرة العالمية وذكرته بأنه أوصى فى سنة ١٩١٢ بضرورة إجراء عملية الماء في عينى اليمنى بعد خمس أو ست سنوات ، ففحصها وقرر أنها صالحة الآن للعملية ، واتفق معى على اجرائها فى الغد ، وحجزت لذلك غرفة فى المصحة

وفي الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم المحدد حضر الدكتور ، ومعه مساعده

وطبيب المصحة ، وطمأننى بعد فحص عينى للمرة الثانية بأن العملية مضمونة النجاح ، ثم ابتدأ فى وضع المخدر الموضعى وأتم العملية فى مسافة قصيرة ، ثم ربط العينين ، وتركنى . وقد قضيت الليلة متألماً . ثم عاد لزيارتى فى الصباح وقال : « إن الحالة جيدة » فشكوت له من الامساك ، فنصح لى بأخذ ماء معدنى ، وأمر بالغذاء المناسب

ولكن الامساك ظل يزداد ، وأحسست بالتهاب فى عينى ، فحلل الطبيب البول وفى هذه الأثناء حضر الدكتور كاوتسكى ، وعلمت منه انه وجد فى البول واحداً فى الألف من السكر . ولما جاء الدكتور فوكس سألته عن سبب الالتهاب وما ينشأ عنه ، فأجابنى : ينشأ عنه « اكسوداسيون » فسألته : وهل يتلف العين ؟ قال : « بكل أسف نعم » فكان هذا الجواب ضربة شديدة على نفسى

ثم بقيت بعد ذلك من يوم ١٦ إلى ٢٤ للتغيير ، وغادرت حجرة المصحة الى الفندق حيث تقيم عائلتى

وبعد عشرة أيام قابلت الدكتور فوكس ، ومعى الدكتور كاوتسكى وطلبت منه أن يدلنى على ما يقوى نظر عينى اليسرى ، ففحصها ثم كتب ورقة لكاوتسكى بنوع من النظارات يساعدنى على القراءة والكتابة .

العودة إلى السويسرة : وقد سافرنا فى ٢٣ أغسطس فوصلنا إلى فلدكرش ومنها إلى بوكس ، ثم زرويخ ، ونزلنا فى فندق ناسيونال

وكانت حرمى قد شكت للدكتور كاوتسكى من آلام تعتريها فى معدتها . فكشف عليها بأشعة رنتجن ، وأخذ صورتين لها ، ثم أوصانى أن أعرضها على طبيب نمساوى فى زوريخ فلما بلغناها ذهبنا للطبيب فأشار بعملية ، ولكنها رفضت ، وبقى الألم يعاودها بعد ذلك .

ثم سافرنا إلى لوزان فقدمتها للبروفسور « رو » فقرر وجود حصاة فى المعدة تستدعى عمليــة . ولكنها بقيت تتردد في إجرائها حتى يوم ٢٥ نوفمبر فاستشرنا « رو » للمرة الأخيرة فأصر على ضرورة العملية . وعلى ذلك رضيت بها وحجزت لها حجرة بالعيادة من أول ديسمبر ، وفي اليوم التالى أجريت العملية ، وبقيت في المستشفى إلى يوم ٢٤ ، حيث تقرر خروجها فى ذلك اليوم معافاة ؛ فسررنا وأعددنا المعدات لأقامة حفلة فى الفندق بحضور الاولاد ، ولكن الله لم يكن قد أراد انتهاء هذا المرض إذ ظهر أخيراً أنه لابد من عملية أخرى يوم ١٣ يناير

سنة ١٩١٩ ، ومع ذلك قد خرجت معنا وأقنا الحفلة وقضينا فيها وقتاً كنا خلاله في فرح وسرور .

شئون مختلفة :

أسرار عن الثورة العرابية : في ١٤ يناير . حضر اسماعيل باشا فاضل من رجال الحربية القدماء ، وكان مرافقاً للسلطان عبدالحميد . وبعد أن زار الخديو جلس عندي . وذكرنا شئون مصر والاحتلال ، فقال لي : « إنه ملم ببعض أطراف المسألة المصرية » . وروى لي أنه عندما ثار عرابي على توفيق باشا كانت الدولة عزمت على إرسال حملة لإخماد الثورة ، وصدرت الأوامر باستعداد عساكرها التي كانت في كريت للسفر إلى مصر ، وأمرت فرقة من الاستانة بالذهاب إلى كريت لتخلفها . إلا أن يوسف رضا باشا رئيس لجنة اسكان المهاجرين رفع تقريراً إلى السلطان ، يحذره من إخلاء العاصمة من العساكر ، لئلا يخلعه الشعب كما خلع السلطان عبد العزيز ؛ فخاف على نفسه ، واستعاض عن الحملة العسكرية بأرسال درويش باشا سعياً للوفاق بين العرابيين وتوفيق باشا .

أخبار العائلة الخديوية : في يوم ١٩ يناير جاءت برقية من شديد يطلب فيها ١٥ ألف فرنك لمصاريف سفر جلال الدين باشا وعائلته ، فأرسل الخديو عارف باشا ليحصل على إذن المالية بأرسال المبلغ المذكور .

وفي يوم ٢٨ منه كان الخديو معتدل المزاج ، وتكلم مع جلال الدين باشا (وكان قد حضر) بلطف إنما طلب مني ومن عارف باشا أن نجري حساباً عما صرفه وعما تسلمه من شديد بك قبل سفره وهو ٢٥ الف فرنك سويسري و ٩ آلاف كورون أرسلت له في فينا ، فتكلمنا مع الباشا وكتب عارف وثيقة بتسلم المبلغين مبيناً فيها أن الخديو كان يعطي لكريمته مدة إقامتها في سويسرة ٣٩٠٠ فرنك لمصروفها ، من الخمسة والعشرين ألف فرنك مرتبها مدة خمسة أشهر من اكتوبر إلى فبراير ، والباقي مع التسعة آلاف كورون هو مصروف السفر ، وهذا لتوقع عليه البرنسيس .

وقد ركبت مع سموه وبعض الحاشية من بيك لمرافقته إلى جبوقلي ، وفي الأثناء عرضت سيرة كريمته فقال لي : « إن اللازم عمل حساب آخر لمعرفة مقدار ما أخذته من المال بعد انقطاع مرتبها من مصر عقب إعلان الحرب ، حتى لا تدعي أنني حرمتها مالها » ، ثم ألمع إلى المساعي التي قيل لسموه أنها قامت بها للحصول على نقود

من خزانة الخاصة بمصر ؛ وعطف بعد ذلك على مايقوله البعض وسمعه هو من أن ولى عهده البرنس عبد المنعم له فى ذمته أربعمائة ألف جنيه ، وأجاب على هذا القول ، بأننا إذا حسبنا ما كان مرتباً له من يوم ولادته إلى أوائل الحرب لم يزد على مائة وتسعين ألف جنيه ، بفرض أنى ماصرفت عليه قرشاً واحدا ، فكيف يكون له عندى أربعمائة ألف جنيه ؟ .

وتذمر من كريمته وزوجها ، وروى لى ان الوالدة لما سمعت بمطالبتها بمالها استغربت ذلك ، وقالت لسموه : « انه لما خرج اسماعيل باشا من مصر ومعه صناديق ملأى بالذهب مكتوب عليها (شمبانيا) لم تشأ هى ولا المرحوم توفيق باشا أن يكشفا السر ويفضحاه » وعلى الجملة لقد كان مملوءاً غيظاً من كريمته ومن جلال الدين باشا

وفى ٢٥ مارس أمرنى أن أجرى حساباً لكريمته باعتبار ان لها راتبا قدره مائة وخمسون جنيهاً مصرياً في الشهر ، وهى قيمة ما كانت تأخذه من الخزانة المصرية ، وانقطع فى ديسمبر ١٩١٤ فكان الحساب كما يأتى : أولا : أنها كانت مقيمة فى جبرقلى على مصاريف والدها . وكذلك مصاريف سفرها من الاستانة فى ٧ يونيو ١٩١٥ . ثانياً : لما كانت فى فينا وسافرت بعدها لسويسرة مكثت فى الفنادق مع الخديو هى وزوجها وولدهما والخدم على حساب سموه لغاية دسمبر ٩١٥ . ثالثا : انفصلوا بعد ذلك ، وترتب لها ٣٩٠٠ فرنك سويسرى شهرياً ، يقابل ١٥٠ جنيهاً مصرياً لمصاريفها ، حتى رجعت أخيراً إلى الاستانة ، كما ان والدها صرف ٥٥٠٠ فرنك فى سويسرة ، و ٩ آلاف كورون فى فينا لسفرها ومصاريفها . رابعاً : بعمل الحساب عن المدة من دسمبر ٩١٥ تاريخ قطع مرتبها من مصر ، لغاية انفصالها فى سويسرة من المعيشة مع والدها أى ١٣ شهرا يكون لها ١٩٥٠ جنيهاً مصرياً ، باعتبار ١٥٠ جنيهاً في الشهر وهذا المبلغ تسلم لها اليوم وأعطت وثيقة بذلك

وكلفنى عباس أن أعرف جلال الدين باشا بصفة شخصية أن سموه فى مقدرته الآن أن يوسع على أولاده ، ويريد أن يعلم ولى عهده كيف يعامل شقيقته ، وأعرفه أيضاً بأن البرنسيس ستقبض مرتبها شهرياً فضلا عن الأرزاق التى سيخاطب نظارة الحربية فى صرفها لها .

المصريون فى السويسرة : فى يوم ٣١ يناير حضر شتوان بك الحلبى، وأخبرنا أن الحكومة العثمانية سترسل مندوباً إلى سويسرة للقيام بتحقيق عن حالة المصريين الذين يتناولون بها مرتبات من الدولة ، لمعرفة ميولهم نحو أعدائها ، وطلب من سموه أن يرسل له معلوماته عن هؤلاء المصريين لتقديمها إلى المندوب . وقد كلفنى أن أتعاون مع عبد الله البشرى على كتابة مذكرة بالمعلومات المطلوبة

فأعددناها معاً يوم ٢ فبراير وهى تحتوى على ما يأتى :

أولا : المصريون فى سويسرة ينقسمون إلى طلبة وغيرهم ؛ ومن الطلبة من يأخذ مرتباً من الدولة ، ومنهم من تأتى له نقود من مصر . أما غيرهم فمنهم رجال ونساء وبعضهم يأخذ نقوداً من الدولة ومن مصر

ثانياً : من المصريين خليل بك وهذا استحضر معه خادمة انجليزية من الاستانة بجواز سفر عثمانى ، وقد تزوجت بصف ضابط انجليزى موظف الآن فى سفارة انجلترا في برن وله علاقات ومخابرات مع قنصل انكلترا فى جنيف ، وقد تمكن من استخدام مبارك بك ابن الصدر الأسبق فريد باشا مخبراً سرياً براتب يتقاضاه من الدولة ، مع أن مبارك هذا سافر لسويسرة والآن يتجسس لحساب الانجليز

وكذلك فى الاستانة زوجة فريد باشا ، وهى تستحضر نقوداً من أحد بنوك ألمانيا وترسلها لابنها نور الدين بك

وقد أرسلنا المذكرة لشتوان بك مع رسول بعث به فى طلبها

وفاة السلطان عبد الحميد : فى يوم ١١ فبراير أعلنت الصحف وفاة السلطان عبد الحميد ، وعلم الخديو هذا الخبر فأبدى أسفه وحزنه ، ولما كان نجله عبد الرحيم افندى قد زار الخديو قريباً فقد سألت سموه : « ألم يخبركم عن مرض والده ؟ » فأجابنى « لاياشفيق لم يفاتحنى فى هذا الصدد ولابد أنه غير سائل عن والده » ثم تأوه وقال : « وهكذا يكون حال الأولاد الذين أمهاتهم من الجوارى » . . . ؟ فقلت بتأثر « كل شىء قسمة ونصيب » وقد ذهب سموه للاشتراك فى تشييع الجنازة بالملابس الرسمية ، ومعه رئيس التشريفات ، والسرياور ، ورئيس الديوان التركى، ولم أذهب أنا لعدم تكامل الملابس الرسمية عندى .

وفى المساء توجهت مع الخديو أنا ورمزى باشا طاهر ، وعارف باشا ويكن باشا الى ضولمه باغجه وكتبنا أسماءنا فى سجل التعزيات ، ثم قابل عباس

السلطان فعزاه فى وفاة شقيقه . أما نحن فانتظرنا فى غرفة رئيس الحجاب ، وهناك حضر توفيق باشا الصدر قبل الأسبق وكان سفير الدولة في انجلترا قبل الحرب ، فقدمت نفسي وزملائى اليه وجلسنا نتحادث فسألنى عن البرنس محمد على باشا ،وعن حسين رشدى باشا حيث كانا فى حفلة تتويج ملك انجلترا ، عندما كان هو سفيرا بلندن .

مذكراتى فى يد الخديو : كنت قد تركت المذكرة التى أقيد فيها مذكراتى اليومية يوم ٢ مارس سهواً فوجدها منصور افندى القاضى ، وسلمها لأحمد بك فريد لايصالها إلى ، ولكنه سلمها للخديو لافتاً نظره الى خطورة ما أكتبه فيها ، فأخذها سموه وقلب بعض الصفحات ، ثم قال : « ولماذا يكتب شفيق كل مايسمعه، أو يعلمه ؟ » وقد بلغنى ذلك من البشرى، فأخبرته أننى تعودت تقييد مذكراتى منذ عهد بعيد ، وربما تنفعنا فى المستقبل. وقد علمت بعد ذلك أن ماقلته نقل الى عباس فأبدى ارتياحه له .

ولما قابلنى بعدها نبهنى الى خطورة ترك مذكرات كهذه يطلع عليها الاخرون وكنت ألاحظ بعد ذلك أنه يكتم عنى كثيراً من الأخبار ، فاستنتجت أنه لايريد أن أطلع على الأسرار وأدونها !... وكانت هذه هى المرة الثانية فى سرقة مذكراتى فعندما كنا فى زوريخ أخذها نور الدين افندى خفية وأطلع الخديو عليها فبعد أن تصفحها أمره بردها في موضعها .

رأى الصدر فى حل المسألة المصرية . فى يوم ٢٤ مارس أوفد الخديو عارف باشا الى الصدر لتحديد ميعاد لزيارته ؛ وتقرر أن يكون الموعد ظهر يوم ٢٦ منه . وبعد عودة سموه كان يبدو عليه السرور من هذه المقابلة ، وأخبرنا أنه دار الحديث حول الصلح الذى عقدته الدولة مع روسية ، وعلى بعض الشئون الحربية فى القفقاس وغيرها .

أما مصر فقال الصدر : « إن مسألتها ستحل على منضدة مؤتمر الصلح ، لأنه من الصعب على الدولة استرجاعها ، بعد توغل الانجليز فى فلسطين » وأكد أن سموه فى نظر الحكومة العثمانية هو الخديو المعتبر شرعا ، ولا خديو غيره .

فقلت لسموه : « مادام الصدر يقول : « إن المسألة ستحل على منضدة المؤتمر ، فيجب علينا إذن أن نفكر فيما سنقوم به من الأعمال لخدمة القضية المصرية ،تحت ارشاده » فأجابنى أن الشيخ جاويش يسعى ونحن نريد أن نتركه أولا حتى يظهر فشله نهائياً ، لأنه كما بلغنى قد سقطت قيمته لدى الألمان والأتراك ، وعندما يفشل نقول له : « إذن تخلف أنت ودعنا نحن نعمل !!! »